خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٢٩م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

اليوم أيضا سأتابع الحديث عن غزوة أُحد بتفصيل أكثر، فكما سبق ذكرُه أن الكفار حين وجدوا الممر خاليا شنُّوا منه الهجوم من خلف المسلمين وانقلب الوضع. كان الهجوم شديدا للغاية، كيف أبدى رسول الله ﷺ الثبات والشجاعة والبسالة في ذلك الوضع فقد ورد عن ذلك أن الصحابة لم يستطيعوا أن يتداركوا أنفسهم من الفزع بعد تغير وضع القتال وتشتتوا، لكن النبي ﷺ ظل ثابتا في ذلك التشويش ورغم كونه محاصَرا من ازدحام العدو من الجهات الأربع، واستقر في مكانه، فكان ينادي الصحابة الذين كانوا يركضون فزعين هنا وهناك ويقول تعالوا إلي يا فلان ويا فلان أنا رسول الله. وكانت السهام تنقضّ عليه من كل طرف وصوب. وفي رواية أنه كان يقول بصوت عال: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، أنا ابن العواتك. عموما قد ورد في الروايات وكُتب السيرة أنه ﷺ نطق بهذه الكلمات في غزوة حنين، لكنه ليس مستبعدا أن يكون قد نطق بالكلمات نفسها يوم حنين وأُحد أيضا. أما العواتك فهي جمع عاتكة، إذ كانت أسماء أكثر من واحدة من جدات النبي ﷺ من قبل الأم والأب عاتكة. فإحداهن عاتكة بنت هلال أمُّ عبد مناف، والثانية هي عاتكة بنت مرة وكانت أمَّ هاشم بن عبد مناف والثالثة هي عاتكة بنت الأوقص، وكانت أمَّ وهب أي والد السيدة آمنة. وفي رواية أنهن كن تسع سيدات ثلاثٌ منهن من بني سليم وست من قبائل أخرى، وكلهن جدات النبي ﷺ.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه في بيان هذا الحادث المذكور أعلاه في كتابه سيرة خاتم النبيين:

حين رأى أصحابُ عبد الله بن جبير أن الانتصار قد حصل، قالوا لأميرهم عبدِ الله: قد انتصر المسلمون وهم يجمعون الغنائم، فاسمح لنا بأن نلحق بالجيش. فنهاهم عن ذلك، وذكّرهم أوامرَ النبي ﷺ المؤكدة لكنهم كانوا غافلين في فرحة الفتح، فلم يقفوا ونزلوا من الجبل قائلين إنما كان النبي ﷺ يقصد ألا نترك الجبل خاليا ما لم نطمئن تماما، أما الآن فقد حصل الفتح، فلا حرج في النزول. فلم يبق لحماية الممر

سوى عبد االله بن جبير وبضعة من أصحابه. رأى خالد بن الوليد بنظره الثاقب من بعيد الممر خاليا فجمع فرسانه سريعا وتوجه إلى الممر فورا وتبعه عكرمة بن أبي جهل أيضا بسرعة مع من تبقّى معه من رجال كتيبته. فقَتلت هاتان الكتيبتان عبدَ الله بن جبير وأصحابه خلال لحظات وشنّتا هجوما مباغتا من ناحية عقب الجيش الإسلامي، ففزع المسلمون الغافلون المطمئنون بالفتح والمنتشرون من هذه المصيبة المباغتة، لكنهم مع ذلك تداركوا أنفسهم وأرادوا منع هجوم الكفار، وفي تلك اللحظة صرخ معاند ماكر قائلا: أيها المسلمون قد شُن عليكم الهجوم من طرف آخر أيضا، فغيَّروا الوجه فزعين مذعورين وبدأوا يقتلون رجالهم خطأً. وفي الوقت نفسه حين رأت امرأة جريئة من مكة وهي عمرةُ بنت علقمة هذا الوضع تقدمت فورا وأخذت راية الكفار التي كانت إلى ذلك الوقت ساقطة على الأرض فأمسكتْ بها ورفعتْها. فحين رآها جيش الكفار المشتت اجتمع من جديد، وبذلك صار المسلمون في الحقيقة محاصرين من العدو من الجهات الأربعة، وحصل تدافُع في الجيش الإسلامي. فإلى هذا قد ذُكر في الخطبة الماضية أنه كيف اجتمع الكفار وهاجموا ومَن رفعت الراية. والذي حدث بعده هو أن النبي ﷺ كان يرى هذا المشهد واقفا على مكان مرتفع، فبدأ ينادي المسلمين مرارا لكن صوته لم يكن يُسمع في ذلك الضجيج. يقول المؤرخون إن كل ذلك حدث في وقت قصير جدا بحيث فقد المسلمون صوابهم، حتى هاجم بعضهم بعضا و لم يميزوا الكفار من المسلمين فأصيب بعض المسلمين بجراح بأيدي المسلمين وقُتل يمانُ والد حذيفة خطأ، وكان حذيفة قريبا منه وصرخ أنه والده و لم يسمع له أحد في تلك الأوضاع المفزعة جدا.

لاحقا أراد النبي ﷺ أن يدفع له الدية من قبل المسلمين لكن حذيفة رفض استلام الدية، وقال أعفو عن المسلمين في دمِ والدي.

يقول سيدنا الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام بيانا لهذا الحدث: كان ليلاً حالكًا حين أُصيب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجراح في غزوة أحد، وتضافرت الأحداث التي بدَّلت انتصار المسلمين هزيمةً. كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد اختار بعضَ رُماته وعيّنهم لحراسة ممر هنالك قائلا: لا تبرحوا مكانكم هذا مهما كانت نتيجة المعركة. وعندما تشتّتَ جنود الكافرين ظن هؤلاء المسلمون نتيجة اجتهاد خاطئ منهم أن لا فائدة الآن في بقائهم في مكانهم، وإنما عليهم أن يترلوا ويشتركوا في القتال ولو قليلا. فقال لهم أميرهم: لقد أمرَنا الرسول ﷺ بالبقاء في مكاننا على كل حال، ولكنهم قالوا له: لم يقصد الرسول ﷺ أن لا نتركه حتى في حالة الفتح، وإنما قصد ألا نتركه ما دامت المعركة مستمرة، وما دام قد حالفَنا الفتح وفرّ العدوّ فعلينا أن نشترك في هذا الجهاد من أجل الحصول على شيء من الثواب. وهكذا تركوا حراسة الممر. و لم يكن خالد بن الوليد قد أسلم بعد وكان فتًى حادّ البصر، وفيما هو يفرّ مع جنده، لاحظَ أن الممر مكشوف، فرجع بأصحابه وشنّ الهجوم على المسلمين من

ورائهم من ذلك الممر. لم يكن المسلمون مستعدين لمواجهة هذا الهجوم المباغت، فَعَمَّتْهم الفوضى وتبعثروا، فلم يستطيعوا الوقوف في وجه العدو.

ثم يقول سيدنا الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام بيانا لهذا الحدث في تفسيره للآية ٦٤ من سورة النور:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ليس خافيًا على أحدكم تضرر الجيش المسلم في غزوة أُحد نتيجة مخالفة بعض المسلمين لهذا الحكم الرباني. كان الرسول ﷺ قد عيّن خمسين من الرماة على ممر هام في الجبل، ولحساسية الممر دعا النبي ﷺ رئيس هذه الكتيبة عبد الله بن جبير الأنصاري وأوصاه وأصحابه وقال: لا تتركوا هذا الممر سواء انتصرنا أو متنا. ولكن لما هُزم الكفار وبدأ المسلمون يطاردونهم قال أصحاب الكتيبة لقائدهم لقد تم الفتح للمسلمين، وبقاؤنا هنا الآن عبث، فدَعْنا ننضم إليهم لنأخذ ثواب الجهاد. فقال لهم قائدهم: لا تخالفوا أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم -. لقد أمرَنا ألا نترك هذا المكان سواءً انتصر المسلمون أو هُزموا. لذا فلن أسمح لكم بترك الممر. فقالوا: لم يقصد الرسول ﷺ بقوله أن لا نتحرك من هنا رغم انتصار المسلمين، وإنما كان يريد بذلك التأكيدَ على حماية الممر. أما الآن فقد انتصر جيش المسلمين وانتهى عملُنا، فماذا نفعل هنا. وهكذا قدّموا رأيهم الشخصي على ما أمرهم به رسول الله ﷺ وتركوا الممر ولم يبق فيه إلا قائدهم وبضعة من أصحابه. وبينما كان الجيش الكافر يهرب من ساحة القتال إلى مكة نظر خالد بن الوليد إلى الممر مصادفة فوجده خاليًا، فقال لعمرو بن العاص- وكانا لم يُسلِما بعد: انظر هناك فرصة سانحة. تعال نرجع وننقضّ على المسلمين من هذا الممر. فجمعا الكتائب الكافرة الفارّة، وصعدا على الجبل من جانب الجيش الإسلامي ومزّقوا كل من بقي من جنود المسلمين على الممر إربًا، إذ لم يقدر هؤلاء البضعة على مقاومة الجيش الكافر. فحمل الكافرون على الجيش المسلم من خلفه بغتة. وكان هذا الهجوم المفاجئ شديدًا على المسلمين الفرحين بالفتح والمنتشرين هنا وهناك في ساحة القتال، فلم يثبتوا أمام هذا الهجوم، عندها أسرع بعض الصحابة الذين كان عددهم عشرين صحابيًا لأقصى حد، والتفّوا حول الرسول ﷺ . ولكن إلى متى كان بوسع هؤلاء الحفنة من الصحابة أن يتصدّوا أمام العدو؟ فقام الكافرون بهجمة شديدة ودفعوهم إلى الوراء، فبقي النبي ﷺ وحيدًا في ساحة القتال. فأصابه حجرٌ في مغفره، فدخلت مساميره في رأسه، وسقط مغشيًا عليه في إحدى الحفر التي كان الأعداء حفروها وغطّوها من قبل كيدًا بالمسلمين. كما استُشهد بعض الصحابة الآخرين وسقطت جثثهم في الحفرة على جسد النبي ﷺ المبارك، وأُشيع بين القوم أن رسول الله قد استُشهد. ولكن الصحابة الذين كانوا قد تقهقروا نتيجة هجمات الكفار المكثفة اجتمعوا ثانية حول الرسول - صلى الله عليه وسلم —

سرعان ما انكشف العدو، فأخرجوه من الحفرة. أفاق النبي ﷺ بعد قليل، وأرسل رجاله في كل طرف ليجمعوا المسلمين مرة أخرى، ثم أخذهم إلى سفح الجبل.

إنما لقي الجيش الإسلامي تلك الهزيمة المؤقتة بعد انتصاره على الكافرين لأن بعض المسلمين خالفوا حكم الرسول ﷺ واتبعوا اجتهادهم الشخصي بدلاً من العمل بأوامره - صلى الله عليه وسلم -. ولو أهم اتبعوا النبي ﷺ اتّباع النبض لحركة القلب مدركين أن الناس كلهم لو قدموا أرواحهم في سبيل اتباع أمر الرسول ﷺ لما كانت هذه التضحية أيضا ذات بال. ولو لم يتّبعوا اجتهادهم الشخصي و لم يتركوا الممر الذي أمرهم الرسول ﷺ بحمايته بقوله: لا تتحركوا من هذا المكان سواء انتصرنا أو متنا، لَما وجد العدو فرصة للهجوم ثانية، ولَما أصيبَ الرسولُ ﷺ ولا أصحابُه بأي أذى. فقد قال الله سبحانه وتعالى لهم إنما تضررتم نتيجة عدم استجابتكم للحكم.

ثم إن سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه قد فسر سورة الكوثر تفسيرا لطيفا مفصلا، وفيه أيضا ذكر هذا الحدث، وقال:

في غزوة أُحد كتب الله النصر للمؤمنين وهرب الكفار، كان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص اللذان كانا بطلين عظيمين للإسلام، لم يكونا قد أسلما بعد وشهدا هذه الغزوة من قبل الكفار.

كان النبي ﷺ قد عيّن جماعة من الرماة لحماية ممر جبلي هناك، وأوصاهم ألا يتركوه سواء أانتصر المسلمون أم هُزموا، وسواء أُقتلوا أم نجوْا. وكان المسلمون متحمسين للاشتراك في الجهاد، وما زالوا، فلما كتب الله النصر للإسلام، قال هؤلاء الرماة لأميرهم: دَعْنا نشترك في الجهاد قليلاً، فقد كتب الله النصر للإسلام، و لم يبق هناك خطر. فقال الأمير: لقد أمرَنا رسول الله ﷺ ألا نترك هذا المكان سواء انتصرنا أم الهزمنا ومتنا أو سلمنا، لذا يجب أن نبقى هنا، فقالوا لم يقصد النبي ﷺ أن نبقى هنا حتى بعد الفتح، وإنما كان قد أقامنا هنا احتياطا وحذرا، والآن قد هرب العدو وانتصر المسلمون، فإذا تركنا هذا المكان وشاركنا قليلا في الجهاد فلا حرج في ذلك.

فقال لهم أميرهم وقوله يتسم بحكمة بالغة: إذا أمر الحاكم بأمرٍ فلا يحقّ للمحكوم أن يوظف عقله، فكان النبي ﷺ قد أوصانا بأن لا نتحرك من هنا، سواء انتصرنا أم الهزمنا، ومتنا أم حيينا، وأوصانا بأن لا نترك هذا المكان، لذا يجب أن نبقى هنا بحسب توجيهه ﷺ، لكنهم عصوْه وأصرّوا على خطئهم قائلين: إذا أردتَ فابقَ هنا، أما نحن فذاهبون للقتال. فانصرف معظمهم، و لم يبق هناك إلا الأمير وبضعة من أصحابه. كان خالد بن الوليد شديد الذكاء والحنكة، وقد حقق بعد إسلامه لاحقًا إنجازات عظيمة، كما كان قائدا عظيما للكافرين، وبينا هو يفرّ مع جنوده الفارّين، نظر فجأةً إلى الممر ووجده خاليا، فقال لعمرو بن العاص الذي في رفقته: عندنا فرصة ذهبية لمباغتة المسلمين بالهجوم، فنظر عمرو أيضا ناحية الممر وأخذ كلٌّ منهما أصحابه وأعاد الكرة، وجاء خالد من طرف وعمرو من طرف آخر،

وقتلوا المسلمين القلائل الموجودين في الممر ثم شنوا الهجوم على المسلمين من ورائهم. كان المسلمون يظنون أنفسهم محميين من ناحية الممر، وكانوا قد تفرقوا هنا وهناك وقد تبعثرت صفوفهم وهم يطاردون مَن بقي من الأعداء. ولما باغتهم خالد وعمرو بالغارة مِن خلفهم، صار الواحد منهم في مواجهة كتيبة كاملة للكفار، فقُتل بعضهم وجُرح بعضهم، أما الباقون فلم يستطيعوا الصمود أمام هذا الهجوم، وعندما وصل العدو إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق حوله إلا ١٢ شخصا. كما استدعى هذان القائدان خالدُ وعمرو قادتهم الآخرين للهجوم، فجعل الجيش الكافر المكوَّن من ٣٠٠٠ محارب يجرف المسلمين المتفرقين المتشتتين كالموج جرفًا، بين راشقٍ بالحجارة ورامٍ بالسهام وضاربٍ بالسيف، والجيش الإسلامي كله في ذعر وفوضى، ومع ذلك قدّم الصحابة تضحيات منقطعة النظير، إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام ٣٠٠٠ مقاتل في ذروة نشاطهم.

وأصيب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الهجوم وسقط اثنان من أسنانه، وأصاب خوذتَه حجرٌ فدخلتْ حلقتها في رأسه، فسقط مغشيا عليه في حفرةٍ، ووقعت عليه جثث الصحابة الذين كانوا حوله ، حتى اختفى جسده المبارك تحتها، وشاع بين المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استُشهد. فترل هذا الخبر كالصاعقة على المسلمين العاجزين سلفًا عن الثبات أمام هذا الهجوم، ولكن من عجائب القدر أنه لما شاع خبر استشهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف الكفار عن الهجوم وارتأوا أن يعودوا إلى مكة بسرعة ليبشروا أهلها -والعياذ بالله- بمقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وورد في الروايات عن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وثباته يوم أحد ما يلي: عن المقداد بن عمرو وذكر حديثا في يوم أحد وقال: "فأوجَعوا (أي المشركون) واللهِ فينا قتلاً ذريعا، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا. لا والذي بعثه بالحق إنْ زال رسول الله صلى الله عليه وسلم شبرا واحدا، بل لم يبرح مكانه في وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرةً وتفرق عنه مرةً أخرى (أي تتشتت وتتفرق من شدة هجوم الكافرين) فربما رأيته قائماً يرمي على قوسه تارةً، ويرمي بالحجر تارة أخرى، حتى تحاجزَ المشركون، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو في عصابة صبروا معه".

وفي رواية أخرى: بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم صامدا في مكانه وما يبرح مكانه شبرا واحدا، بل ظل يقاتل العدو، يرمي عن قوسه حتى تقطع وترُه وبقيت في يده منه قطعةٌ تكون شبرًا في سِيَة القوس، فأخذ القوس عكاشةُ بن محصن ليوتره له. فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوترُ، فقال صلى الله عليه وسلم: مُدَّه يبلُغْ. قال عكاشة: فو الذي بعثه بالحق لمددتُه حتى بلغ وطويتُ منه لَفّتينِ أو ثلاثًا على سية القوس. (أي في البداية كان الوتر لا يُمَدّ ثم مُدّ بشكل معجز).

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوسه وظل يطلق به السهام، وكان أبو طلحة يستر النبي صلى الله عليه وسلم كالجُنّة، حتى كُسر وترُ القوس ونفدت السهام. فأخذ قتادة بن النّعمان ذلك القوس وبقي معه دائما، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يرشقهم بالحجارة.
وعن نافع بن جبير، قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول: شهدتُ أُحدا فنظرت إلى النَبْل تأتى من كل ناحية ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَسَطَها كلٌّ ذلك يُصرَف عنه. ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دُلُّوني على محمد لا نجوتُ إنْ نجا، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أَحدٌ، فجاوزَه، فعاتَبَه في ذلك صفوانُ بنُ أمية، فقال: واللهِ ما رأيتُه، (أي كان الله يحمي النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النحو) أحلفُ بالله إنه منا ممنوعٌ، خرجْنا مِن مكة أربعةٌ فتعاهدنا وتعاقدنا على قتلِه، فلم نخلُصْ إليه.
قال ابن سعد: قال أبو النمر الكناني: شهدتُ أُحُدًا مع المشركين، ورميت يومئذ بخمسِ مَرْماة، فأصبتُ منها بأسهمٍ، وإني لأنظرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّ أصحابه لَمُحْدِقون به، وإنّ النبل لتمرُّ عن يمينه وعن شماله، وتقصُر بين يديه، وتخرُج مِن ورائه. ثم هداني الله للإسلام.
وقال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وهو يتحدث عن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم: كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة نموذجا عجيبا من الشجاعة. والحق أنه قضى حياته كلها عرضة للأذى والاضطهاد. صار النبي صلى الله عليه وسلم وحيدا في معركة أحد وفي تلك الأثناء أعلن بين القوم إني أنا رسول الله. وما أَدَلّ ذلك على شوكته وشجاعته واستقامته صلى الله عليه وسلم. كان محدَقًا بين الأعداء ومع ذلك لم يُخْفِ أنه هو رسول الله، بل أعلن عن ذلك حتى عرفه الأعداء.
وقال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أيضا: لا تحلّ بأنبياء الله وأوليائه مصائب كتلك التي تنزل على اليهود لعنةً وذلةً والتي تمثّل عذابًا من عند الله وسخطا منه، بل يرسي بها الأنبياء نموذجا للشجاعة. ما كان الله عدواًّ للإسلام ومع ذلك انظروا كيف صار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا في معركة أُحد. وكان السر في ذلك أن تَتجلى شجاعته صلى الله عليه وسلم. لقد صمد النبي صلى الله عليه وسلم وحده في وجه عشرة آلاف وأعلن: إني أنا رسول الله! لم يجد أيّ نبي آخر فرصة لإظهار هذا النموذج قط.
في غزوة أُحد كان الأعداء ثلاثة آلاف، ولكن الجريدة التي نقلت قول المسيح الموعود عليه السلام هنا ذكرتْ عدد عشرة آلاف، وربما يكون عليه السلام قد تحدث عن الغزوتين، حيث كان عدد الكفار في غزوة الأحزاب عشرة آلاف، كما كان عددهم في المعارك الأخرى أيضا لا بأس به. على أية حال، إن ما يؤكده عليه السلام هو شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم المنقطعة النظير حيث ظل وحده صامدا أمام جيش الكفار، ولم تُتَحْ لأي نبي آخر فرصة لتقديم مثل هذا النموذج في الشجاعة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى قادر على أن يملأ أي شيء قوةً. لقد أودع الله في كلامه القوةَ التي تكون بمثابة رؤيته، وقد فدى الأنبياء بأنفسهم بناءً على هذا الكلام الإلهي فقط. فهل بوسع أي عاشق مادي أن يفعل ذلك؟ بسبب هذا الكلام الإلهي لم ينسحبْ أي نبي من هذا الميدان بعد الولوج فيه، ولم يكن أي منهم غيرَ وفيٍّ أيضا (أي أعلنوا دعواهم ثم ظلوا ثابتين على ذلك) لقد قدم الناس شتى التأويلات لما حدث في غزوة أُحد، ولكن الحق أنه قد ظهر في ذلك الوقت تَجلِّي الله الجلاليُّ ولم يكن لأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم أن يقدر على تحمله، ولذلك ظل ثابتا صامدا في الميدان بينما تزعزعت أقدام الصحابة. فكما كان صدق النبي صلى الله عليه وسلم ووفاؤه مع الله تعالى منقطعَ النظير في حياته، كذلك لا نجد له نظيرا في ما يتعلق بالتأييدات الإلهية التي حالفتْه.

وباقي هذا البيان سوف أتناوله فيما بعد إن شاء الله تعالى، أما الآن فأود أن أذكر بعض الموتى بالخير وأولهم هو أحد خدام الجماعة القدامى الداعيةُ الدكتور جلال شمس. لقد صليت عليه الجنازة أمس، ولكني وودت أن أذكره في خطبة الجمعة أيضا.

كان المرحوم واقفا للحياة، ذا كفاءة عالية، بسيطا ووفيا. لقد توفي إلى رحمة الله قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ٧٩ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. نال درجة "الشهادة" من الجامعة الأحمدية بعلامات ممتازة عام ١٩٦٩، وبعد التخرج عمل داعية في أماكن شتى في باكستان لبعض الوقت، ثم أُرسل إلى إسلام آباد بباكستان لتعلم اللغة التركية بأمرٍ من حضرة الخليفة الثالث رحمه الله، ثم أُوفدَ إلى تركيا لتعلم اللغة التركية في عام ١٩٧٤، فحاز الدكتوراة بهذه اللغة بعلامات ممتازة. ثم جاء من هنالك إلى المملكة المتحدة بأمر من حضرة الخليفة الرابع رحمه الله تعالى. لقد وفقه الله تعالى لخدمة الجماعة داعيةً في بريطانيا ثم في ألمانيا. كان نطاق معارفه واسعا جدا وهم يقيمون في بلاد مختلفة في تركيا وألمانيا والمملكة المتحدة أيضا، ولا يزالون يكتبون لي عن محاسنه.

جُعل المرحوم رئيسَ المكتب التركي المركزي ببريطانيا وقدّم خدماته بهذا المنصب بمنتهى الإخلاص والجد والاجتهاد حتى لحظة وفاته.

لقد وهبه الله تعالى ذكاء خارقا وفطنة غير عادية. عندما حاز الدكتوراة باللغة التركية من جامعة إسطنبول عُرض عليه أن يعمل بروفيسورا مقابل دخل غير عادي، فاسترشد حضرةَ الخليفة الرابع رحمه الله تعالى في الأمر، فلم يقل له حضرته أن يقبل هذا العرض أو لا يقبل، بل قال له عليك أن تقرر بنفسك ما تريده بعد كثير من الدعاء والفكر الرصين. فقام بالدعاء وآثر الاستمرار في وقف حياته لخدمة الجماعة رافضا عرض العمل هذا.

في عام ٢٠٠٢ اعتقل مع اثنين من زملائه خلال جولة لتركيا بجريمة تبليغ دعوة الإسلام الأحمدية، ونال شرف قضاء أربعة أشهر ونصف شهر أسيرا في سبيل الله تعالى. ومن أهم إنجازاته مشاركته مع زملائه

في إعداد ترجمة القرآن الكريم باللغة التركية. كما وفّقه الله تعالى لترجمة العشرات من كتب المسيح الموعود عليه السلام وكتابة وإعداد ونشر الكثير من مطبوعات ومناشير تبليغية وتربوية باللغة التركية. كان شخصية غزيزة العلم ومولعة بكثرة المطالعة. قام بمطالعة كتب وأقوال وخطابات المسيح الموعود عليه السلام وخلفائه بمنتهى الدقة. كان يكتب ملاحظاته على صفحة الكتاب نفسه.

علاوة على كتب الجماعة كان شغوفا بقراءة الكتب الأخرى في شتى العلوم والفنون. كان حاد الذكاء والفطنة وكان يبين دقائق الأمور في حديثه العلمي مع أحبابه وأصدقائه. وما كان يتكبر ولا يتعالى إذا لم يفهم شيئا بل كان يستشير الدعاة الآخرين الذين كانوا أصغر منه سنا.

وهبه الله تعالى ملَكة عجيبة لتعلُّم اللغات. كانت الأردية والبنجابية من لغاته الأم. وحاز الدكتوراة في اللغة التركية واكتسب فيها حنكة ومهارة غير عادية. كما كان يتقن الحديث بالإنجليزية والعربية والألمانية والفارسية، حتى إنه قام بترجمة كلام الخليفة الرابع رحمه الله تعالى في بعض مجالسه مع العرب حين لم يتيسر مترجم باللغة العربية. وكان يتكلم باللغة السرائيكية أيضا.

في البداية كان يقوم بترجمة خطبة الجمعة بالتركية بعد إلقائها فورًا، وكان الأتراك أنفسهم يشيدون بمستوى لغته وبغزارة مفرداتها لديه. كان قديرا في الكتابة والخطابة معًا. باختصار، كان المرحوم حائزًا محاسن كثيرة، ومؤديا لحقوق الله وحقوق العباد إلى أقصى الدرجات. كان يحب الأقارب وغير الأقارب على السواء. لقد كتب لي كثيرون أن المرحوم كان إنسانا مواسيا وغير متكلف وكان لقاؤه يترك لدى من يقابله ذكريات لن تمحى أبدا. كان متوكلا على الله، ومعينا للمساكين وذوي الحاجة في صمت. كان يحب الخلفاء بولَه وعشق، وكان يرى الرؤى الصالحة. وكان يُكثر من ذكر الله. رفع الله درجاته وألهم أولاده وزوجته جميل الصبر والسلوان، ووفقهم في الاستمرار في حسناته.

هناك بعض المتوفين الآخرين أيضا الذين سأصلي عليهم صلاة الغائب، وهم ثلاث جنائز. أول من سأذكره هو المرحوم محمد إبراهيم البهامري الذي توفي قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ١٠٦ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. مذكور في بعض المستندات أن عمره كان ١٠٦ عاما وفي بعضها الأخرى ذُكر أن عمره كان ١٠٩ عاما. على أية حال كان عمره عند الوفاة ١٠٦ عاما على الأقل. كان مشتركا في نظام الوصية بفضل الله تعالى. دخلت عائلته الأحمديةَ بواسطة والد المرحوم وهو شودهري عبد الكريم الذي بايع في عام ١٩١٨ أو ١٩١٩م. يقول المرحوم إبراهيم البهامري ذاكرا قصة بيعة والده: دخلت عائلتنا الأحمدية بفضل الله تعالى بواسطة والدي الذي كان ينتمي من قبل إلى فرقة أهل الحديث. ضعف بصره كثيرا في عام ١٩١٨م بسبب الإصابة بالمياه الزرقاء. فدخل مستشفى "نور" في قاديان للعلاج. كان والدي رجلا معروفا، فلما علم الناس بدخوله المستشفى بدأوا يتوافدون لعيادته، وكان منهم الأستاذ عبد الرحمن مهر سنغ وغيره من كبار الجماعة وكانوا يخدمونه ويبلّغونه الدعوة أيضا.

يتابع المرحوم محمد إبراهيم البهامري: كانت مسألة وفاة عيسى عليه السلام واضحة ومترسخة جيدا في ذهن والدي، أي أن عيسى عليه السلام قد مات وليس حيا. عندها أيقن أن المسيح الموعود عليه السلام صادق وحق تماما، أي ما دام عيسى عليه السلام قد مات والعصر يقتضي مجيء المسيح الموعود لذا هذا هو زمن مجيئه. وإن لم يأت الآن فمتى؟ فبايع في قاديان في أثناء مرضه. وعندما عاد إلى قريته وعلم الناس بقبوله الأحمدية، جاؤوه وأبدوا تأسفهم. وقالوا: لو علمنا أنك ستنضم إلى المرزائية (أي الأحمدية) نتيجة ذهابك إلى قاديان لما سمحنا لك بالذهاب إليها ولو صرتَ أعمى. فقال لهم السيد عبد الكريم: لقد صارت بصيرتي الروحانية أيضا حادة إلى جانب بصارتي المادية، والبصيرة الروحانية أهم من البصارة المادية بكثير. ولا يسعني أن أؤدي شكر الله تعالى على أنه وفقني للسلوك على الصراط المستقيم. وأستطيع أن أقول على بصيرة إن المسيح الموعود عليه السلام صادق.

كان أهل القرية يبغضون المسيح الموعود عليه السلام بشدة لأن المشايخ كانوا قد نفثوا السموم في أذهانهم فكانوا يقولون: لو ادّعيتَ أنت كونك مهديا لقبلناك، ولكن لن نقبل مرزا غلام أحمد. فكان السيد عبد الكريم يقول: إنها من علامة صدقه (أي صدق المسيح الموعود عليه السلام) أنني آمنتُ به حاسبا إياه على الحق، فآمِنوا به أنتم أيضا.

ألحقَ المرحومَ إبراهيمَ البهامري وأخاه الصغير والدُهما إلى المدرسة الأحمدية في قاديان عام ١٩٢٦م، فكانا يصلان إلى المدرسة بقطع مسافة خمسة أميال كل يوم. وفي عام ١٩٣١ توفِّي والد المرحوم، عندها حاول إخوته إقناع والدة المرحوم بألا ترسله وأخاه الصغير إلى قاديان لأنها بعيدة بل يمكن أن نُلحقهما بمدرسة قريبة. ولكنها قالت: لن أفعل ذلك، بل سيدرسان في كل الأحوال في المدرسة التي ألحقهما بها والدهما. يتابع الراوي قائلا: هكذا ظللنا نذهب إلى قاديان. وبعد اجتياز الصف السابع في قاديان درسنا في الجامعة الأحمدية (في تلك الأيام كان الالتحاق بالجامعة الأحمدية بعد اجتياز الصف السابع مسموحا به). وقد اجتزتُ امتحان الثانوية بعد أن درستُ دراسة خاصة. وفي عام ١٩٣٩م اجتزت امتحان "مولوي فاضل"[١].

كان المرحوم يحفظ قصيدة المسيح الموعود عليه السلام بكاملها إلى جانب قصائد كثيرة أخرى من مجموعة القصائد "كلام محمود" و"الدر الثمين". وكان يحفظ أيضا مقتبسات كثيرة فكان قادرا على الإشارة إلى مراجع النصوص فورا. بعد الحصول على شهادة "مولوي فاضل" من جامعة بنجاب، نذر حياته. فلما ذهب إلى الخليفة الثاني رضي الله عنه لهذا الغرض قال رضي الله عنه له: تعلَّم الأعمال المكتبية. في أول يناير ١٩٤٤م عُين المرحوم أستاذا لتدريس مادة الأديان واللغة العربية في المدرسة الأحمدية. من عام ١٩٤١ إلى ١٩٤٧ قام بخدمة الجماعة في مجالات مختلفة. من عام ١٩٤١ إلى ١٩٤٧م خدمة سكرتيرا خاصا لحضرة مرزا

---

[١] هي أعلى شهادة في اللغة العربية في القارة الهندية، المترجم.

بشير أحمد ﷺ، ثم عمل في نظارة بيت المال لأن سيدنا المصلح الموعود ﷺ كان قد أمره بتعلّم أمور مكتبية. في عام ١٩٤٧ عُين أستاذا في مدرسة تعليم الإسلام الثانوية. وبعد تقسيم القارة الهندية إلى الهند وباكستان خدم في مدرسة تعليم الإسلام الثانوية في ربوة أيضا، وظل يخدم إلى عام ١٩٧٤م حتى تقاعد منها في العام نفسه. ثم خدم من عام ١٩٧٥ إلى ١٩٩٤، مراقبا وناظم الإرشاد في مؤسسة الوقف الجديد. فكان يعمل مع سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله ويقوم بحسب أوامره بزيارة الأماكن المختلفة ويسوي أمورا كثيرة. وقد قام بتدريس دعاة الجماعة أيضا. وُفِّق للخدمة كرئيس للجماعة في حارة "دار النصر" في ربوة إلى أكثر من خمسين عاما. كان يؤم الصلوات الخمس وصلاة التراويح أيضا لأنه كان يحفظ قدرا لا بأس به من القرآن الكريم.

تقول إحدى بناته: كانت معاملته مع الأقارب مثالية. جميع أقاربنا الذين كانوا يقيمون خارج ربوة مكثوا في بيتنا للدراسة. إن سرّ حياته النشيطة والطويلة والمباركة كان يكمن في الاستيقاظ في الصباح الباكر لصلاة الفجر والإكثار من ذكر الله والمشي على الأقدام والذهاب إلى المكتب والمدرسة على الدراجة. كان يأكل طعاما بسيطا وكان قانعا وصابرا دائما. كان يحب الخلفاء حبا كبيرا وصادقا.

تقول الراوية: إن أولاده جميعا يسكنون خارج باكستان، وكلما طلبنا منه أن يأتي إلينا خارج باكستان، قال: أريد أن أذهب إلى قبر سيدنا المصلح الموعود ﷺ للدعاء له كل يوم، لذا لا أستطيع أن أقيم خارج باكستان. كان يحب سيدنا المصلح الموعود ﷺ بشكل خاص. كلما جاءه أحد طالبا الدعاء قال له: اكتب رسالة إلى خليفة الوقت أولا لهذا الغرض ثم سأدعو لك. ثم كان يدعو أيضا رافعا يديه. ولما كان حافظا قصيدة المسيح الموعود ﷺ التي مطلعها: "يا عين فيض الله والعرفان" فكان يقرأ جميع أبياتها قبل الخلود إلى النوم كل يوم.

تتابع الراوية: كان والدي كثيرا ما يذكر رُؤيا رآها والده، أي جدُّنا: فقد رآني أتسلق شجرة النخل، ولكن والدي كان يخاف سقوطي، ولكني تسلقتُ في لمح البصر ووصلت إلى آخر الشجرة. تقول ابنة المرحوم: كان والدي يفسر هذه الرؤيا بطول عمره وغزارة علمه.

يقول السيد شيخ مبارك أحمد، ناظر الديوان في باكستان: كنت تلميذه أيضا، ثم عملت معه مدرسا في المدرسة إلى خمس سنين. وعمل المرحوم إبراهيم البهامري مراقبا في دار إقامة الطلاب إلى مدة طويلة وكان يعامل جميع الطلاب سواء أكانوا أحمديين أم غير أحمديين بالحب والرأفة واللطف على حد سواء. كان يختار أسلوب التربية نظرا إلى طبيعة كل طالب، وكان الطلاب أيضا يأنسون إليه سريعا جدا ويعاملونه بالاحترام كأنه والدهم. كان المرحوم يقضي معظم وقته في مساكن الطلاب ويؤمهم في الصلاة، ويراقب جميع الطلاب التزامَهم بالصلاة وكان يحبهم ويتلطف بهم كثيرا.

أقول: كنت أيضا تلميذا له وكان يقسو علي أيضا في بعض الأحيان. وحين عُيِّنتُ ناظرا أعلى كنت أُذكِّرهم أحيانا بذلك فكان يبتسم. ولكن كانت قسوته تتسم بالمواساة وتهدف إلى الإصلاح.

وقد قام بواجب رئيس الجماعة على أحسن وجه وكان يقول: أنا أعلم بجميع البيوت التي ليس فيها رجال لأنهم قد سافروا إلى الخارج فتسكنها النساء فقط. فأنا أتواصل مع تلك البيوت قبل الذهاب إلى السوق ليخبرنني إذا كانت لهن حاجة. كان يحمل معه كيسا وقلما وورقة، فكان يكتب ما يجب أن يحضر لهن من السوق. فكان يوصل الأشياء إلى البيوت المعنية. وكان يرسل رسائلهن بالبريد ويأخذها من هناك إذا وُجدت ثم يوصلها إلى أصحابها. وإذا كان هناك أحد غير متعلم وطلب منه أن يقرأ الرسالة له فكان يفعل ذلك أيضا. كان رجلا أمينا جدا لم ينقل كلام أحد إلى غيره قط. في بعض الأحيان كانت النساء يأتينه بشكاوي أزواجهن ويذكرن له نقاط ضعفهم، فكان المرحوم ينصحهن في التوقيت وبالأسلوب المناسبين ويسوي الأمور دون أن يشعر أحد أن زوجته شكت منه. باختصار، كان أفراد الحارة رجالا ونساء وصغارا وكبارا يجدونه كأب رحيم.

أقول: هذا هو الأسلوب الصحيح الذي يجب أن يختاره المسؤولون ليعيشوا مختلطين بالناس ويحاولوا إصلاحهم. كان ينصح الدعاة أيضا أن يحفظوا بعض القصائد بما فيها قصائد المسيح الموعود ﷺ لأنها تتضمن النصائح أيضا. وقال إنه يقرأ القصائد قبل الخلود إلى النوم كل يوم. ففي ذلك نصيحة للدعاة أيضا.

قُتلتْ في حياته إحدى بناته وهي قادمة من القرية إلى ربوة، فتحمل هذه الصدمة الكبيرة صابرا وهادئا. وماتت ابنته الأخرى في لندن حين كان المرحوم مريضا، فجيء بجنازتها إلى ربوة فتحمل هذه الصدمة والحزن أيضا بالصبر والجَلَد الكبيرين.

باختصار، فقد عاش عيشا طويلا وناجحا من كل الجوانب والنواحي. كان المرحوم كثيرا ما يقول: إن العالم الثاني أجمل من هذا العالم بكثير. رفع الله درجاته ووفق أولاده للاستمرار في حسناته.

الجنازة التالية التي سأصليها هي للسيد يوسف جاري من غانا، وقد توفّي قبل بضعة أيام، إنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول أمير الجماعة والداعية المسؤول في غانا عن المرحوم: كان مشتركا في نظام الوصية وأحمديا مخلصا جدا. عمل بمناصب مختلفة في الجماعة وقام بخدمات عظيمة. كان قبيل وفاته يخدم كرئيس لجنةِ مدرستين ثانويتين عاليتين. كان منخرطا في سلك التعليم. وقبل التقاعد عمل مديرا في مدرسة ثانوية عليا في "بورتسن" وفي "كماسي". وقد وُفِّق المرحوم يوسف للخدمة رئيسا لمجلس خدام الأحمدية في غانا. وفي أثناء زيارة الخليفة الرابع رحمه الله لغانا في عام ١٩٨٨م، كان رئيسا لمجلس خدام الأحمدية فقام

بخدمة كبيرة في قسم الحراسة. كان منخرطا في سلك التعليم فكان كثير الاهتمام بتعليم الشباب الأحمديين. وأحد أحفاده يعمل حاليا داعية للجماعة، غفر الله للمرحوم ورحمه.

الذكر التالي هو للمرحوم الحاج عثمان بن آدم من غانا، وقد توفي قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ٨١ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. يقول عنه أمير الجماعة والداعية المسؤول: كان المرحوم مشتركا في نظام الوصية وأحمديا مخلصا جدا، ملتزما بالصلاة وأداء التبرعات. كان سباقا في المساهمة في أمور الجماعة. كان مخلصا جدا للخلافة وسعى جاهدا أن يرسّخ ذلك في أولاده أيضا. كان كثير الاهتمام بتعليم أولاده الأمور الدينية والدنيوية. لعب دورا كبيرا في ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة "شانتي".

تقول زوجته: كان المرحوم دمث الأخلاق ومحبوبا جدا. في عام ٢٠١٢م وفقه الله تعالى للحج. وعلّم عددا كبيرا من أفراد الجماعة القرآنَ الكريمَ. غفر الله له ورحمه ووفق أولاده أيضا للاستمرار في حسناته.